محمد الواثق

أمر دُرمان تحتضر

دار الثقافة
بيروت

● نظم أولى قصائد هذا الديوان عام ١٩٦٩ والأخيرة عام ١٩٧٣ فيكون قد انشأ تسع قصائد في اربع سنوات . إذ يرى ان الشاعر يجب ان يطيل التفكير ويرجع للمراجع العديدة المتباينة الثقافة قبل نظم القصيدة – ان صحت له الملكة – فما الشعر في نظره بالتهويمات وعفو الخاطر .

● كذلك يرى ان على الشاعر ان يطوع اللغة لا ان يتهرب منها وذلك لا يكون الا بالمعاناة الشاقة في تلمس مسالك اللغة المتشعبة الوعرة حتى يتمكن من تصريفها كما يريد .

● الجديد في شعره انه جاء كله في موضوع واحد – أم درمان – وفي بحر واحد – البسيط – ويعتقد ان هذه سابقة شعرية . فالموضوع القوي – في رأيه – عندما يفرض نفسه يجعل الشاعر يبحث الجزئيات في إطار الكليات وبهذا ينتفي تعدد الاغراض والتناقض والتبعثر في الديوان الواحد .

- لا يؤمن بالمقدمات او بشرح الأغراض اذ كلها تحول دون استيعاب القارىء التلقائي للشعر .

- يتشكك في فكرة ان « للفنان عالمه الخاص » إذ قد يعني هذا حيلة ثم ارهاباً يلجأ اليه الشاعر يخيف بـه القارىء عندما لا يكون شعره مكتملاً . ويرى ان القارىء الناضج يجب ان لا تنطلي عليه هذه الحيلة ولا يخيفه ذلك الارهاب .

لا حبذا أنت يا أم درمان من بلد

لا حبذا أنت يا أم درمان من بلد
أمطرتني نكدا لا جادك المطرُ
من صحن مسجدها حتى مشارفها
حطّ الخمول بها واستحكم الضجر
ولا أُحبّ بلاداً لا ظلال لهـــا
يُظلّها النّيم والهِجْليج والعُشَر
ولا أحبّ رجـالاً من جهالتهم
أمسي وأصبح فيهم آمنـا زُفَر

أكلّما قـــام فيهم شاعر فَطِن
جمّ المقال نبيل القلب مبتكر
ضاقوا بهمّته واستدبروا جزعاً
صمّ القلوب وفي آذانهم وَقَر
أكلّما غرست كفى لهم غرساً
كانوا الجراد فلا يبقى ولا يـذر
المظهرون بياض الصبح خشيتهم
والمفسدون اذا ما صرّح القمر
قميصُ يوسف في كفي أليح بـه
قميصُ يوسف لم يرجع لهم بصر
ولا أحبّ نساء ان سَفَرْنَ فقد
تحجّر الحسن والإشراق والخفر
من كل ماكرة في زِي طاهرة
في ثوبهـا تستكِنُّ الحية الذكر
يا بعض أهلي سئمت العيش بينـكم
وفي الرحيل لنا من دونـكم وطر
سألتك الله ربّ العرش في حرق
إني ابتأست واني مسنّي الضرر
هل تـُبلغَنّي حقول الرُون ناجية
تطوي الفضاء ولا يلفي لهـا أثر

قرب الجبال جبال الألب دَسْكرة
قد خصّها الريف ، لا همّ ولا كدر

تلقاك مونيك في أغبائها عرضاً
غضّ الاهاب ووجه باغمٌ نَضِر

من صبح غرّتها حيّك الضياء لنا
ومسك دارين من أردانها عطر

مونيك اني وما حجّ الحجيج له
لم يُلهِني عنكم صحو ولا سكر

وعهدك الغرُّ في أغوار محتمل
اني لذاكره ما أورق الشجر

كيف اللقاء وقد عزّ الرحيل وما
يثني عناني سوى ما خطه القدر

راحلتي همتي لا تبتغي وطناً
لكن يقيدها الاشفاق والحذر

مونيك كانت لنا أم درمان مقبرة
فيها قبرت شبابي كالألى غبروا

ان الأنيس بها سطر أطالعه
قد بتّ أقرأه حتى عفا النظر

ثم اصطحبت كُمَيْتا أستلذ بها
وخلت في سكرتي أم درمان تحتضِرُ

لكنما أنت يا أم درمان

ودّع لميس وداع الواثق الخـالي
قد كنت من أمرها في أيّ بَلْبال

قد كان حبّك أوجاعاً أكتّمهـا
وأزجر الدمع لا يَهْمي بِتَهْمال

ما كنت أحسبني أني تُخَلْخِلُني
بعد التجاريب مـني ذات خلخال

غادرتني مثقلاً أرعى النجوم ضنى
لا أستقر مـن البلوى على حـال

من بعد ما كنت مثل الفجر منتشراً
أجرّ فـــوق أديم الأرض أذيالي
أكلما قمت للعنقـاء أنشدها
قامت لميس إلى هجري وإذلالي
فـــلا رجعت ولا عادت مؤنثة
تثبّط العزم مني قـدر مثقال
كيما أرتّق لأم درمان ما اخْترَمَت
تلك العناكب من جُلبابها البـالي
كي أسأل السحب أن تغشى أباطحها
بواكِفٍ من عَميم المُزن هطّال
حـتى أقول إذا التاريخ عاتبني
لقد دفعت حميدا مهرهـا الغالي
لكنما أنت يا أم درمان غانية
تمرغت في أباطيـل وأوحـال
هجنت كل جميل كنت أعشقه
فلا أرى في جميل غير محتـال
أكلما شـــدت تمثالاً لعفتها
تشيد للعار صرحاً فـوق تمثالي
أكلمـا جـدّ مني العزم تقعدني
هذي البغـيّ بأمراس وأغـلال

فرحت أنشد في الحانوت سلوتها
وأكتم النـاس اقوالي وافعالي

فمـا هنـاك يقين بت اعلمـه
سوى الزجاجة تجلو الشكّ بالمـال

فإن تـوَعّدني الرحمن في طربي
واكثر الناس في عذلي وتسآلي

ففي غـد اسـأل الرحمن مغفرة
لكنما اليـوم متروك لأضلالي

اردْ للخمر والخمّار دينهما
ظَرْفاً بظرف وإجـلالاً بإجلال

لكن سمعت غَداةَ السُكرِ ضللني
وعشعش البوم في مهجور اطلالي

سمعت صوتاً دفيناً كنت احذره
يقول إذ هـدّت الأعناب اوصالي

« بُدّلْتَ لندن بأم درمان تلزمها
بدّلت زهر الربى بالسِّدرِ والضّال »

« وكل بيضاء مـلء الدرع ناهضة
بكل عجفاء خدر البيت مِكْسال »

يا صوت دعني فما ام درمان منزلتي
لولا الأواصر من عمّ ومن خال

مالي إذا الوخز ادماهـا ومزّقها
لا الجلد جلدي ولا السّربال سربالي
نيرون اضرم فلا يبقى لها اثر
واعزف نشيدك فوق المَرْقَب العالي
امـا انا ان جعلت النـار السنة
نيرون دعني فقد اعلنت ترحالي
من كل احمد من أُوشِيكَ منقبض
وكل هارون لا يرضى بِمَلْوالِ

بريستول ٢٢ / ٧ / ١٩٧١

أم درمان تتزوج

وَعَدْتِني بعـد قربي منك بالولد
لكن ـ كعهدك ـ يا ام درمان لم تلدي

قالوا تزوجتها من بعد ما اكتهلت
واذبـل الدهر منها زهرة الجسد

وقال قائلهم « انثى بـلا رَحِم
تهوى الرجال ولا تـُبقي على احـد

قـــد كان مضجعها قـبراً لطائفة
مـن المحبين افنتهم بـلا عـدد

كم شاعر دنّست فيه مشاعره
وعاشق بات مطوياً على كمد
فارفُقْ بنفسك من شعر تسطره
للْحَيْزَبونِ التي تهوى ولا تَزِد »
رَبَّاه ـ حِلْمَك ـ ما ام درمان مَنزلة
لقد خلقت بها الإنسان في كَبَدِ
إن كان حكمك انّا لا نغادرها
فاجعل لنا اجر من قدمات في أُحُدِ
او هب لنا منك صبراً نستعين بـه
او ما حَبَوْتَ به ايّوب من جَلَد
مـتى أَمُرُّ على باريس منطلقاً
حيث الأنيس وحيث العيشة الرغد
قد كنت القى بها مونيك يعجبني
جمالها الغض مـن لين ومن أَوَدِ
مُجاوِرٌ ثغرَها البسّامَ بعضُ فمي
وعاقد خُصْلَةَ مـن شعرها بيدي
وكنت إذ ما دعاني الزَّهْوُ آونَةَ
امشي العِرَضْنَةَ في اثوابي الجُدُد
كيف السبيل إلى باريس والهفي
قد صرت أَقْبَعُ في ام درمان كالوتد

مُكفكفاً عَبْرَةً او زفرة سَدَكَت
يا زفرة قطّعت من حرّها كبدي

وعندما خلت ان النور فارقني
وفتّت الظلمة السوداء في عَضُدي

تلاطم النيل مدفوعاً بغضبته
وجاش مَوّارُهُ في الأرض بالزبد

يفتت الصخر جُلموداً ويقذفه
فيهدم الدور هدماً غير مقتصد

حتى بدت دونه ام درمان سلسلة
من الخرائب لم تثبت على عَمَد

واغرق السالكي درب مُعْوَجّةٍ
والسالكات طريقاً غير ذي رشد

فطهّر الأرض من ادران رجسهم
واعلن الطهر صوتُ الطائر الغَرِد

واعلن الطائر المَيمونُ ان له
داراً بناها تُجافى بُقعة النكد

الخرطوم ٣ / ٢ / ١٩٧٢

نشدتك الله هل في الأرض متسع
غرباً إلى فاسَ أو شرقاً إلى الصين
شرقاً إلى الصين أو من دون ذا بلد
فيه أحلّق أو قبر يواريني ؟
فقد رأيتك يا أم درمان باخسة
مني العطاء عطاء غير ممنون
وقد حَبَوْتُك يا أم درمان من كلمي
حكمة موسى جلاها نطق هارون
لكن وجدتك يا خَرقاء معضلة
جمعت بين شريف الفعل والدون
حيناً يطوف ببيت الله ساكنها
سعياً وحيناً على أعتاب لينين
فقلت شأنك يا أم درمان حيّرني
مُعوجَّة الفكر أم منقوصة الدين ؟
هل من سبيل إلى عقلي أظل به
قد انتسبت إلى قوم مجانين
باخوس أنت إله الخمر هات لنا
من خمر تَكريتَ أو من خمر جَيرون
سلافة عُتّقت في دَنّها حقباً
من عهد قارون أو من قبل قارونَ

حتى أرى في خيال السكر منطلقي
في قلب باريس أو في ضفة السين

وهل شتيت من الغزلان أرقبُه
أم تلك طائفة مـن حورها العين

وهل سنا بارق أم رابني بصري
أم وجه مونيك ذات الحاجب النوني

تحول دونك يا مونيك شِرْذِمَةٌ
مـن الطَّغام وأرض كم تعاديني

يا ريح عـاد تحرّي أين موقعها
وفجّري فوقهـا غيظ البراكين

واجعل إلهي لهيب النار ألسنة
مما تكون بـــه ألحان نيرون

واستقص شأفَتَهم واقطع سُلالتهم
وأعصِفْ بطينتهم يا خالق الطين

انك ان لا تُسوِّيهم بأولهم
لا يلدوا غـير أنماط الشياطين

من كل مأفونة لخنـاءَ داعرةٍ
تسعى الى الفحش في أحضان مأفون

وكل أفعى تَنَشُّ الليل فاغرة –
تَرْياقها من ركيك الناس تَكْروني

نارَ المجوس لأنت الخصب فاتّقدي ـ
حتى يكونوا نساء للرياحين
قُربانُنا فحمة أم درمان إذ حرقت ـ
لا ينبت العشب من غير القرابين

أبريل ١٩٧٢

ام درمان والانهزام

ما كنت تـُرهِقـُني البلوى وانهزم
لو كان وجهك يا ام درمان يبتسمُ

إني وحقـّكِ لم أحفِل لنـازلة
فالفتق بعد نزيف الجرح يلتئم

لكن تـَغَشّتْ شِعاب النفسِ باخعَةٌ
مـن القنوط وَرانَ اليأس والسأم

حملت قيثارة السلوان تصحبني
عسى يُفرّجُ بعض الكربة النغم

على طوافي بها لم تَستكِنْ حُرَقي
لا ينتهي العزف حتى يرجع الألم
قولي ـ فدَيتُك ـ يا ام درمان واقتصدي
بعد اشتطاطك هل تعلو لنا هِمَمُ ؟
لا الدار دار فيهتاج الفؤاد لها
والناس في دورهم من طبعهم خدم
والنيل أدْكَن في سلساله كَدَرٌ
مما تبول عليه الناس والغنم
إنْ شاعر قام في أحيائهم رَنِماً
جادوا بصمت فباخ الوزن والكَلِمُ
أو زهرة نبتت كانت فؤوسهم
لها نَشيجٌ وَأطٌ حين تجتَذِم
لا الشعر يبعث في أرواحهم طرباً
ولا الزهور لها في أرضهم حُرَمُ
مونيك ما زلت في ام درمان مغتربا
حتى كأن وجودي عندها عدم
لكن تبدّي سواد صرت أرمقُهُ
في أفقها قد توارت دونه القمم
إذ سدّت الأفق الغربي جائحة
من الطيور تتالت سيلها عرم

طـير أبابيل في منقارها فِلَق
مـن الحجارة فيها النار تضطرم
ألقت حمولتَهـا في دورهم بَدَداً
والناس هَلْعى عليها الدور تنهدم
وصارت الناس أشلاء مُمَزَّعَةً
رأس يَطيحُ وساق مـا لها قدم
تكدَّسَتْ دورهم من نَتْنِهِمْ جيفاً
والنيل تطفو على تيَّاره الرِّمَمُ
ثُمَّتَ عاجت ضباع الأرض متخمة
وحلَّق البوم والغربان والرخم
وصحت تُفزِعني منهم جماجمهم
فالهول يعجز عـن تصويره القـلم
يا طير ما لَكِ وأم درمان كِدْتِ لها
بحاصب مـن عسير الموت ينتظم ؟
هذي الديار الـتي كانت معاهدنا
أمست خراباً وأمسى الناس قد رُجِموا
فقالت الطير إذ ألقت حجارتهـا
يبلى القديم ويبلى بعـده القِدَمُ
لا تَنْسِجَنْ من ظلال الحزن اردية
أغْوَتْ سَدوم فأمسى اهلها اختُرِموا

اغوت سدوم وشطّت في مفاسدها
حتى تردّت وحالت دونها الظُلَمُ
قد عبدت غيّها من جهلها صنماً
فراح يُدْرِجُ اكفاناً لها الصنم
لا تَجزَعَنْ فلهيب النار طَهَّرها
ما عاد رجساً على اصلابها رَحِم
إذا امّحت امة من سوء ما اقترفت
تعاقبت بعدها في ارضها امم
سينبت العشب لكن في مواسمه
ويُكسبُ الأرضَ خِصباً هاطلٌ رَزِمُ
حلّقت الطير في الأجواء راجعة
وخلفت من حَرُور القلب ما يَصِم
اتبعتْها مُقلةَ شُدّتْ اواخِرُها
حتى توارت وَسَحّتْ بعدها الدِّيَمُ

الخرطوم ١٢ / ٨ / ١٩٧٢

نساء ام درمان

إن زانهـا ادبُ
او لونهـا الذهبُ
ما نـَفعُ مظهَرِها
لو جسمها خشبُ ؟

قل للألي ضاجعوا ام درمان واغتربوا
كيف المصارعُ بعد اللهو تنقلبُ ؟
كيف العقارب في لـَبّاتِ غانيـة
تـُخـْفي مسارِبها اثوابُها القـُشـُب ؟

ابدت مفاتنها هَوْناً تُراوِدُهُمْ
حتى استكانوا وزالت دونها الحُجُب

لانت عَريكتُها حتى اريكتها
نامت عليها رجالٌ بعضهم جُنُب

الليل ما بذلوا مهر البغيّ له
والكأس ما طاف في حافاتها الحَبَب

وغار كوكبهم ما انفضّ سامِرُهم
الخمر تَسْلِبُ وام درمان تُسْتَلَبُ

حتى اذا انتبهت خَرْقاء من سِنَةٍ
وقد تحجَّر في اجفانها التعب

تلمست جزعاً أطْمَار عفتها
كان الذي افتقدت بعض الذي نهبوا

ثم استشاطت وقامت كي تُناجِزَهم
وصرّح الشر في عينيها والغضب

لكنهم هربوا

حتى إذا هَمَدَتْ غَلْواءُ حِدَّتِها
عادت لسيرتها إذ شاقها الطرب

يا شيخة طُرِقَتْ من قبل ما يَفَعَتْ
مشت بسيرتها الركبان والحِقَبُ

يا امنا من ابونا ؟ ما حملت بنـا
إلا سِفاحاً فكيف اليوم ننتسب ؟

هذي نساؤك يا ام درمان قد رَضِعَت
من عار ثديك لم يَحفِل بهنّ اب

بَهْرَجَةٌ مـن حريم بعضها نبهت
لكنها كرهت مـا قالت الكتب

مـن كل ناعسة غيـداءَ آنسة
اصباغها مَسْحَةٌ فالخـد يلتهب

وصدرُها هودج حيناً تُرَجرِجُه
وردفها مـا تباكت حوله العرب

والعرض يا سلعة اسواقها نَفَقَتْ
مـا كان يبتاعها إلا الألى ذهبوا

هذي رجالك يا ام درمان تضظرب

بين المواخير مـا عادت لها همم
قد شلّها القَصْفُ والادمان والصخب

خُوصُ العيون سَمَادِيرٌ مُحَنَّطَة
لن يتركوا الكأس حتى ينضب العنب

ماذا فعلت بهم يا سوء ما انحدروا
فقد تردُّوا وقد هانوا وقد نُكِبُوا

يا ليت شعري أيُمْحى ذنب غانيـة
وتغسل العار من ساحاتها السحب
فقـد لحت نقـاء في سريرتهـا
ان ذكر الطهر فأم درمان تنتحب
تبكي لهـا حُرَقُ
صلاتُه نَسَقُ
حديثـه لَبِقُ
تبـدو براءتـه
لكنه شَبِقُ
قل للألى ضاجعوا ام درمان هل ارقوا
بعد الحرام وهل في صمتهم غرقوا ؟
لقـد نصحتهمُ لو كان ينفعهم
ان البغيّ اذا ثارت لهـا نَزَقُ
لكنهم تركوا ما قـال شاعرهم
واعنقوا في مدى اللذات واعتَنَقوا
ما كان نصحي سوى نور يضيء لـكم
يا معشراً حطّه الأمـلاق والملق
لقد سئمت رجالاً ان دعوت الى
الجُلّى توانوا وان كان الخَنا استبقوا

وقد سئمت نساء صار دَيْدَنَهُنَّ
المشي والسعي حتى ضجت الطرق

وقد سئمتك يا ام درمان فاستمعي
إمـا استقيمي وإمـا اليوم نفترق

ما دام عمرك باللذات مُرْتَهَناً
يظـل نسلك في الآثام يختنق

فقد عشقت فتـاة الحي في صغري
يَشِـعُّ من خدها ما لَـوَّنَ الشفق

في ساحة الحي تلهو بـين جيرتها
براءة الطفل في عينيهـا تأتلقُ

حتى اذا اكتملت أودى بزهرتهـا
ما دسَّه العِرْقُ او ما أَوْرَثَ الخلُق

من ماء نسلِكِ يا ام درمان قد خُلقت
بـين التّرائِب والأصلاب يندفق

يا مُوقِدَ النار هـل اضرمتها بهم
عسى الخطايا مـع الأجساد تحترق

اضرمهـا نيرونُ

القلب محـزونُ

والخمر تسكينُ

ان عـدت اقربها

هل ينتفي الدينُ ؟

هبّتْ تُنشطني للهـــو آنسة

تَطْيابَها مـا تمنته البساتين

تُزجي الحديث بهمس القول تُسقطُه

عفـواً فعربد في الأعماق تِنّينُ

والرّاح من راحتيها والشفاه كطعم ـ

ـ الراح والجسم بض صاغه اللـين

راحت تَثَنّى بعِطْفَيْها لتسحرني

مفتونـة شاقهـا للهو مفتون

حتى اذا دارت الكأسات دورتهـا

وقربت بـين روحينا الشياطين

قامت تذكرني مـا قـال لينين

ان الحكيم الذي ترجـو المساكين

قـال السقاة لنـا لا شكّ مجنون

كوني كخالتك ام درمان لاهية

ان العقائد ارهـاق وتَوْهِينُ

ان العقائـد في ام درمان مهزلة

اودى بحرمتهـا تَجْرٌ دهاقين

الحب أشرعةٌ والكأس مترعة
والليل عطر تـزكّيه الرياحين

لا تجزعي إنْ ظلامٌ غاب كوكبه
والبـدر مفتقد والشهر تشرين

اذا السراج خبـا والكأس دائرة
وأظـلم الليل فالمصباح لينين

يضيء كالقمرِ

يمشي على حَذَرِ
مبلبـل الفكَرِ
قميصـه مِزَقٌ
قد قُدَّ من دُبُرِ

ما كل يوسف من تعرى النساء له
هذي ثيابك يا أم درمان فاستتري

راودتِ طلاب ليل كلهم طرقوا
أبواب منزلنـا في ساعة السحر

أجفاننا ذبلت من فرط ما طرقوا
كم ذا يصاحب عار الليل من سهر

يا أمنا ما عقوقاً ان رحلت غداً
فقد خجلتُ وأغرى العار بالسفر

ان تُبلغَنّي قُرى باريس أجنحةً
قرب الحقول فلا تشتدّي في أثري

متى حللت فنهر الرُونِ يشعرني
بأنني بشر من طينة البشر

فان بدت قربه مونيك أبصرها
فما النساء وما أم درمان يا بصري ؟

ما زال مسعاي في دنياي رؤيتها
في شطه ساعة تشدو بلا وتر

والشعر منسدل حيناً يبعثره
مَرُّ النسيم الذي يلهو مع الشجر

مونيك ما اقتربت أنثى تكلمني
إلا مَثَلْتِ بطيف واضحِ الصور

شَتّانَ بين مَصيفِ الألب يجمعنا
وبين أخربة أم درمان والحفر

ماذا لقيت من أم درمان بعدك يا
مونيك غير الأسى والهم والكدر

فهل أرانا – كما كنا – ومجلسنا
في روضة قد حَباها ساكبُ المطر

ما زلت أرتقبُ
مونيك تقتربُ
ما شانَها كَذِبُ
ما جسمها خَشَبُ

١٦ / ١٠ / ١٩٧٢

فضيحة ام درمان

ماذا أفادك يا أم درمانِ ايضاحي
هذي الفضيحة شدّت طرفيَ الصاحي
دعي التغافل يا ام درمان واحترمي
قد كنت ذات ذكاء جِدّ لمّاح
هذا الجنين سفاحاً قد حملت به
والناس تهمس همساً دون افصاح
كُفّي مغازلتي ما كنت صاحبَهُ
فقد أتيت به من صلب سفاح

لقد رضيت به لو كان يشبهني
كيف التشابه منّا دون إلقاح
فالناس جاءتك يا ام درمان كَوكبَةً
منهم شفيق ومنهم لائم لاحي
قالوا سفينتنا قـــد حلّها دنس
من فعل مبذولة الفخذين مِمراح
ما مريمُ ابنةُ عِمران فنعذرَها
او مثل حواء قد هَشّتْ لتفاح
فقلت ما ضرّكم صارت لها ولد
عسى يَشبّ ويحمي جانب الساح
ألقوه في اليمّ ان جارَتْ سفينتكم
قد تُزهَقُ الروح تَفدي بعض ارواح
فقال منهم زعيم عابس صَلِفٌ
يُخيفهم بكريه الوجه مِكلاح
اذا الوئيدة في مَلحودِها سئلت
ماذا نقول لرب الناس يا صاح؟
ثم الشريعة انّا ما نخالفها
فالجلد والرجم طهر بعد اصلاح
دافعت دونك يا ام درمان مجتهداً
فما أصاخ الى قولي وإلحاحي

اذ قام يجلد وام درمان عارية
بسوطِ مُقتَدِرِ الكفين لَوّاح

السوط يهرت وام درمان خاذية
لوابل من شهيق السوطَ وَحواحِ

فصحت فيهم وأثوابي مبللة
بسارف من غزير الدمع سَحّاح

أتجلدون عجوزاً عظمها خَرِعٌ
منكوبة ذات أوجاع وأتراح

وتتركون بها الجاني لسطوته
من مُستَحِلٍّ شديدِ البطشِ نطّاح ؟

قالوا سفينتنا هل أنت تاركها
قَرْواءَ ذات مجاديف وألواح

أمّا السفينة قل لي كيف اركبها
قد ابحرت بَغتةً من غير مَلاّح

كيف النجاة اذا ما الموج مالَ بها
اخشى الهلاك واني غير سباح

ان كان يونس بطن الحوت أزْعَجَه
فما قراري بها في فُلكٍ تِمساح ؟

مونيك قد عشت في ام درمان معتكفاً
أعالج اليأس طول الليل بالراح

هل نسمةٌ جابت الآفاق تنعشني
بعاطر مـــن شذا باريس فوّاح
بل هل انا في حقول الرّون يُطربُني
ترنيمُ ساجعة أو شدو فـلاح
ان كنت تعشق في باريس أغيَدَها
وقـد تَمِلْتَ بأقداح وأقداح
فما مقامك وام درمان قد ملئت
بكل قزم كبير الصوت نباح
ان شاعر قد تسامى عن نباحهم
تَناوَشوه بأسيـاف وأرمـاح
وقد خَبَرْتُهُم في كل معترك
ما في دِلائِهِمُ فيض لمُنْتاح
ولا ترى العشب ينمو في منابتهم
فأرضهم سَبْخَةٌ غاصت بأملاح
لو كنت من مازن او من بني اسد
لم يسرقوا عند سور العلم مفتاحي
لما تيقنت مـا من نارهم قَبَسٌ
أنار لي ظُلُماتي ضوءُ مصباحي

٢٦ . ١١ / ١٩٧٢

ام درمان مهمومة

سألتُ مالك يا ام درمان مهمومهْ ؟
علامَ تبدين طولَ الدهر واجمة
متى سترحل عن أطلالك البومهْ ؟
زالت بَشاشتُنا مما نراكَ بـه
تلك البشاشةُ قد كانت لنا سِمهْ
قالت لقد دبّتِ الأسقام في بدني
واستحكمت في هزيل الجسم جُرثومه
جرثومة أرهقتني غـير معلومه

فرحت اسأل اهل الدار مختبرا
يا ناس ويحكمُ ام درمان مكلومه
هذا التّعهُرُ قد أودى بأمكمُ
أما تُغيثون أماً جدّ مظلومه
فقال سِكّيرها والكأس تصرعه
ساسا سيا سا سيا ام درمان مشئومه
الحر والعبد والمخبول ضاجعها
عجبت هل هذه ام درمان أم رومه
أم ذاك نيرون تُوحي النارُ تنغيمه
وقال عالمها يبدي رُطانته
(وعُلّقت في جِدار البيت دبلومه)
قد بعُدَتْ عن مراعي العلم نُجْعَتُها
فأصبحت بوخيم النبت مسمومه
يقتات من كتب الافرنج يجهلها
وقَسْوَةُ العلم دون الأنف مشمومه
تظل من نَتْنها ام درمان محمومه
ان هدّها الداء فأم درمان قد مضغت
خير بنيها وكانت غير مَلْجومه
وقد نَصَحْتُكِ يا ام درمان في كَلِمي
قصائدٌ من أثير الشعر منظومه

لا شيء يلهي سوى باريس نذكرها
يحلو شذاها وتسقي أرضها الدّيمه

وقد رأيت بهـا مونيك تعجبني
الجسم معتدل والخطو ترنيمه

أتلك ام مستحيلُ العيش في شظفٍ
بَفَدْفَدٍ مَجْهَلٍ صحراء ديمومه

ما إنْ جفوت وامّا ان تَرى أُصُلاً
راحلتي حين جدّ الخطبُ مزمومه

قد راعني مشهد ام درمان ساجية
وصيحة إذ دهاها الموت مكتومه

أوْدى بها من طَغَام الناس رِجْرِجَةٌ
وأوردتها حياض الموت جرثومه

ثُمَّتَ غنت على أطلالها البومه

١٩٧٣/٤/٢١

جنازة ام درمان

قد اقبل النعش هات الكأس ـ ما الخجل ـ؟
كي لا نرى جُثّة ام درمان يا رجلُ

كي لا نرى نعشها تمشي الرجال به
منهم بطيء ومنهم مُسرعٌ عَجِلُ

ان فاحت الخمر مني في جنازتها
قد أشرب الخمر كيما تَدمَعُ المُقَلُ

فان ترى الدمع مني جِدّ مُنْهَمِلٍ
لقد بكيت عجوزاً ساقها الأجل

وهالني دفنُهـــا في لفح هاجرة
تكاد من وَقْـدِها الأكفان تشتعل

وهالني أن يقود النعش ذو صَلَفٍ
مستأسِدٌ يتقيـــه الفارس البطل

والناس تهمس خلف النعش مُرْجِفَةً
لا تستحي اذ رماها الحادث الجلل

هذا الذي لورد ام درمان مَهْلَكَةً
قد كان يقهر وام درمان تحتمل

حتى اذا ماتت ام درمان من غُصَصٍ
يعـود يبكي عليهـا ثم ينفعل

وكان يحفر ترب الرَّمْسِ مُخْتَبِلاً
ذو لوثـة يعتريه الضيق والملل

يقول مـــا لي بهـا لولا دراهمها
فان افْتَرَغْتُ وتمَّ القبر والعمل

تكون سكرتنا في بيت جارتنا
كذا بهـــا يدفع الأموات نحتفل

وحينما وُسِّدتْ لحدا وقد وضعوا
من الحجارة فوق القبر مـا حملوا

تَشَرْخَ القبر عن سوداء داهية
فسائر القوم مـن تَجْفالِها جفلوا

اذ خرجت ناقـة ترغو مزمجرة
يكاد ينهدّ من تـرغائها الجبل

وضَرَّسَتْ نابَها شَوْهاءَ كالحَةً
وأَرْزَمَتْ فوق ما قد تُرزِم الإبل

والقوم من خوفهم زاغت بصائرهم
لم يعرفوا كُنْهَ ما للقبر قد نقلوا

اناقةُ الله مـــن مشنوءة فعلهم
تكون في صورة ام درمان قد قتلوا ؟

وأيقنوا بعذاب قـد أُريد بهم
أن لا يُرىَ قائماً مـن دورهم طلل

وأغرقوا في صلاة لا وضوء لها
وأطنبوا في ثنـاء الله وابتهلوا

يا صالح الخير هبها ناقة عطشت
انـا ندمنا وقد ضاقت بنا السبُل

وقد بدا عذرنا فاغفِرْ خطيئتنا
قـد يخطىء المرء حيناً ثم يعتدل

وناشدوا ناقة الله التي هدرت
يا ناقُ كُفّي سقاك العارض الهطل

هذا الأُحَيْمِرُ ما كنـا ندين له
لكن تملكنا فانتابنا الوجـل

والسامريّ بسحر العِجْلِ ضللنا
فاستحكم الجهل حين استوطن الكسل
فتنهنهي الريح لا يلقى الجميع لظىً
منا الظريف وفينا الشاعر الغزل
يا ناقة الله هذا النيل فاكترعي ،
ثمودُ ويْلُمِّنا ان تغضب الرسل
لكنها انتفضت تهتز من غضبٍ
والناس بمشدوهة اعيت بها الحيل
وإذ تبدّى دخان يرتدي ظُلَماً
في جوفه حُمَمٌ في رأسه شُعَل
ذكرت مونيك اذ حاق العذاب بهم
وكان يضحك من بلوائهم هُبَلُ
فحب مونيك ما تنجو النفوس به
والحب نور بنور القدس يتصل
فان نجوتُ وطهر الحب يشفع لي
فإنني لثرى مونيك ارتحل

١٦ / ٥ / ١٩٧٣